

تمثيلات المنهج السيميائي في كتابات آمنة بلعلي.

The Representations of the Semiotic Method in Amina Belaala's writings

* عباسي صالحة

جامعة العربي التبسي، تبسة، (الجزائر). salhaabbasi40@gmail.com

د. عمر عيلان

جامعة العربي التبسي، تبسة، (الجزائر). ailaneomar@gmail.com

تاريخ النشر: 2021/06/01

تاريخ القبول: 2021/05/29

تاريخ الاستلام: 2021/01/13

ملخص:

نتناول في هذا المقال كتابات "آمنة بلعلي" وفق المنهج السيميائي، وهذا الأخير درس نقدي نسقي تزايد الاهتمام به في الآونة الأخيرة، و اتسع مجال الاهتمام بالعلامة و هيمن على مجالات البحث في الغرب، و كذا عند العرب، و لعل أهم ملمح يبيده النقد السيميائي هو طابعه الإجرائي التطبيقي، و نهدف من خلال هذا المقال إلى إبراز المفاهيم و الإجراءات السيميائية التي اعتمدتها "آمنة بلعلي" في كتاباتها النقدية، تطرقنا في البداية للمنهج السيميائي عامة، ثم المنهج السيميائي في النقد الجزائري، و من ثم المنهج السيميائي عند "آمنة بلعلي"، و هي واحد من الأفلام النسوية الناشطة في مجال النقد الأدبي الجزائري، تناولت مدونات الخطاب التراثية بطريقة مميّزة و مختلفة، بحثت في الخطاب الصوفيّ و هو خطاب له خصوصيته، لذلك تجاوزت هذه الدراسة الطرح التقليديّ في تحليل النصوص الصوفيّة إلى رصد التفاعلات النصيّة في الخطاب الصوفيّ و تحليلها، كما بحثت في سيمياء الأنساق و كيفية تشكّل المعنى في الخطابات التراثية، فتناولت العلامة كموضوع في المعرفة التراثية، لتخلص الباحثة إلى أنّه ليس كلّ ما جاء به التوجّه السيميائيّ الغربيّ جديداً، بل إنّ العرب كانوا سباقين للبحث في هذه المفاهيم وإن لم تكن جهودهم في ذلك منظّمة. توصلنا إلى أن الدراسات اللتان قدمتهما "آمنة بلعلي" تحليل الخطاب الصوفيّ و "سيمياء الأنساق" وفق آليات المنهج السيميائي تتميزان بالطابع الإجرائي و الدقة و الجرأة في الطرح.

الكلمات المفتاحية: التمثيلات، السيميائية، الخطاب الصوفيّ، النقد النسويّ، النصيّة

Abstract:

In this article we deal with the writings of "Amna Belaala" according to the semiotic method, The latter is a systematic critical lesson that interest in it has increased in recent times, the field of interest in the sign has expanded and dominated the fields of research in the West, as well as among the Arabs, perhaps the most important feature of semiotic criticism is its practical and applied character.

We aim through this article to highlight the semiotic concepts and procedures adopted by "Amna Belaala" in her critical writings, initially, we dealt with the semiotic method in general, then the semiotic method in the Algerian criticism, and then Amna Belaala semiotic method, which is one of the active feminist writers in the field of Algerian literary critics. I touched on the traditional discourse in a distinctive and different way, I searched the Sufi discourse that has its own features. This study went beyond the traditional proposition in analyzing Sufi texts to monitoring and analyzing textual interactions in Sufi discourse, as I examined the semiotics of patterns and how meaning is formed in traditional discourses, so I dealt with the sign as a subject in heritage knowledge, the researcher concluded that it is not all that was brought about by the western semiotic approach is new. Indeed, the Arabs were pioneers in researching these concepts even if their efforts were not organized.

We concluded that the studies presented by "Amna Belaala" "The Analysis of Sufi Discourse" and "The Semiotics of Patterns" according to the mechanisms of the semiotic method are characterized by procedural nature, accuracy and audacity in proposing.

Keywords : representations, semiotics, Sufi discourse, feminist criticism, textuality

المؤلف المرسل: عباسي صالحة الإيميل: salhaabbasi40@gmail.com

1. تقديم:

عرفت الساحة النقدية الجزائرية المعاصرة العديد من المناهج النقدية بفضل الانفتاح على الثقافة الغربية و الترجمة، و من أبرز هذه المناهج و أكثرها انتشارا في النقد العربي المعاصر المنهج السيميائي الذي أصبح تصورا نظريا، و منهجا تطبيقيا لا يمكن الاستغناء عنه في مختلف الدراسات الانسانية النقدية الأدبية، حيث حقق البحث السيميائي نجاعة و فعالية في مقارنة النصوص و تحليلها، و قد وظف هذا المنهج في دراسة النصوص الابداعية شعرا و نثرا، إلا أن إطاره العام يبقى الخطاب النثري، كما اشتغل العديد من النقاد وفق هذا المنهج على أشكال أخرى من الخطاب، و هو ما يمكن تسميته بالخطابات ما فوق أدبية، و ما فوق لغوية¹، و هي خطابات لم يتم الاشتغال عليها في التحليل السيميائي بشكل مكثف، لأن ذلك يحتاج إلى تمرس و تمكن واسع من طرف الناقد للمفاهيم و الآليات الاجرائية للمنهج السيميائي.

و في هذا المقال نطرح اشكالية تمثلات المنهج السيميائي في الكتابات النقدية " لآمنة بلعلي"، فما هي الآليات الاجرائية التي اعتمدتها " بلعلي" في دراساتها النقدية السيميائية؟ و ما مدى تمكنها من الاشتغال على هذه الآليات؟ و كان هذا الطرح وفق الحديث أولا عن المنهج السيميائي عامة، ثم المنهج السيميائي في النقد الجزائري لنتقل للحديث عن " آمنة بلعلي" ودراساتها في مجال المنهج السيميائي، " تحليل الخطاب الصوفي" و سيميا " الأنساق"، و منهجنا في ذلك لا يخرج في مجمله عن عملية الوصف و التحليل من أجل الإحاطة بآليات المنهج السيميائي و تمثلاته في المدونات المدروسة.

2. السيميائية منهجا نقديا:

لم تصبح السيميائية منهجا نقديا عند الغرب إلا بعد النصف الثاني من القرن العشرين ومن أبرز روادها:

أ/ **جوليان غريماس**: من أهم النقاد في فرنسا، ويمكن حصر اسهاماته في نموذجين، الأول نموذج البنية العاملة، والثاني المربع السيميائي، و هو، " احدى التقنيات التحليلية التي تسعى إلى اظهار التقابلات ونقاط التقاطع بين النصوص"²، فالتحليل الذي يقدمه المربع السيميائي هو تحليل يغوص في دلالة ألفاظ المنتج.

ب/ **رولان بارت**: حظي " بارت" بشهرة كبيرة، فكان يتلقف كل جديد ويلتحق بالركب الأول منه يتبنى مواقفه ويدافع عنه حتى يصبح مقبولا، و يتمثل اسهامه الكبير في ميدان البحث السيميائي في دراسته لقصة " سارازين"، حيث اعتمد في هذه الدراسة نظام الشيفرات وذلك من خلال " تفتيت النص إلى وحدات صغيرة، والبحث في هذه الوحدات عن دالتين يقوم عليهما تحديد المعنى العام، وهما الدلالة المباشرة والدلالة الالغائية، اللتان تمثلان حجر الأساس في فهم دلالة النص العام"³، تعتمد السيميائية على المعالجة الداخلية للنصوص و أبعاد العناصر الخارجية، إذ " لم تقف السيميائية عند حدودها العلمية بل تجاوزتها إلى الوسائل المنهجية حيث تحولت من علم، موضوعه العلامة إلى منهج قائم بذاته"⁴، فالناقد السيميائي يتعامل مع النص كإشارة وعلامة بهدف تحرير النص من القيود المفروضة عليه.

3. المنهج السيميائي عند العرب:

أما عند العرب فقد نال المنهج السيميائي حظا وافرا من الاهتمام لدى النقاد العرب، و كان أفضل حالا في المغرب العربي منه في مشرقه و يُمثل كتاب " في سيمياء الشعر القديم دراسة نظرية تطبيقية" لمحمد مفتاح سنة 1982، بداية جديدة للمنهج السيميائي في النقد العربي، و برزت بعد ذلك العديد من الأسماء النقدية اللامعة في هذا المجال، إذ نجد "عبد الفتاح كليطو"، "محمد الماكري"، "السعيد بن كراد" من المغرب و "سمير المرزوقي" و "علي العشوي" من تونس، فقد حقق النقاد المغاربة

سبقهم في التنظير والتطبيق السيميائي على حد سواء، كما نجد "عبد الله الغدامي" من السعودية، وهناك سوريون وعراقيون ومصريون، بدأوا بالترجمة ثم انتقلوا إلى التأليف النظري، ثم دراسات لتطبيق السيمياء على النصوص، في حين بحث آخرون في التراث العربي عن هذه المقولات السيميائية، لأن السيميائية التي جاء بها الغربيون في الأصول العربية ما تمثل في أطروحات المناطق والفلاسفة والبلاغيين، من ثم فهي ليست غريبة عن الفكر العربي.

ويبدو أنّ السيمياء منهج يسمح للنقاد بمدى أوسع من التفكير وحرية أكثر في التحليل، ويلقى عليه المسؤولية الأكبر، إذ يتطلب الفهم والرؤية والتأويل. و "على الرغم من المحاولات العديدة التي استثمرت هذا المنهج في الوطن العربي، إلا أنّ الطالب لا يزال يشكو اليوم عنت الحيرة وحرية السؤال، وما زالت تستعصي عليه مقارنة النصوص... إقنا لطبيعة هذه النصوص أو لطبيعة المناهج التي طبقت عليها."⁵

3. المنهج السيميائي في النقد الجزائري:

حاز المنهج السيميائي على اهتمام عدد كبير من النقاد الجزائريين الذين أسهموا في تثبيت إجرائية المنهج السيميائي، وفي هذا الصدد نجد جملة من الدراسات القيمة لكل من "رشيد بن مالك"، سعيد بوطاجين، حسين خمري، عبد المالك مرتاض، عبد الحميد بورايو وغيرهم كثير.

كذلك الأمر بالنسبة للنقاد الجزائريين رغم تأخرهم في هذا المجال، إذ نجد أن المرأة الجزائرية تأخرت في الالتحاق بركب الكتابة الإبداعية والنقدية عربيا وعالميا، وذلك عائد للأوضاع الاجتماعية و السياسية والاستعمارية التي عاشتها الجزائر لأكثر من قرن وربع قرن من الزمن، إلا أن المرأة الجزائرية المبدعة لم تستسلم للظروف، فبدأت الإبداع الأدبي الذي تميزت فيه كثيرا، ثم دخلت ميدان الكتابة النقدية، فقدمت دراسات نقدية متماسكة البنى و الأفكار في مختلف المناهج.⁶

جل الناقداة الجزائريات باحثات أكاديميات جامعات، ومعظم إنتاجهن النقدي عبارة عن رسائل ماجستير و دكتوراه تمت طباعتها في كتب، إلا أن هناك منهن من اشتغلن، و وسعن مجال بحثهن و أصدرت العديد من المؤلفات، و من بين الأصوات النسوية في النقد الجزائري نجد "شادية شقروش" التي وظفت الآليات الإجرائية للمنهج السيميائي في قراءة النصوص الشعرية من خلال كتابها "سيمائية" الخطاب الشعري قراءة في ديوان مقام البوح للشاعر "عبد الله العشي"، كذلك نجد "نادية بوشقرة" بمؤلفين وفق هذا المنهج "معالم سيميائية في مضمون الخطاب السردى" و "مباحث في السيمياء السردية"، إضافة إلى نبيلة زويش التي وظفت آليات السيمياء السردية في دراستها "تحليل الخطاب السردى".

4. المنهج السيميائي عند آمنة بلعلى:

آمنة بلعلى باحثة أكاديمية متخصصة في مناهج تحليل الخطابات الأدبية و الثقافية من أجل استنطاقها من الداخل، فهي تتميز بتنوع في الانتاج النقدي، وتنتقل بين النصوص التراثية و المناهج النقدية الحديثة بآلياتها الإجرائية، و قد انتقدت "بلعلى" سيطرة المناهج و الثقافة الغربية على فكر و وعي النقاد العرب، فنجد لها محاولات جادة في رسم منحى الدراسات النقدية التي تقدمها الأصوات النسوية النقدية الجزائرية.

تتميز "آمنة بلعلى" في أعمالها النقدية بالطرح الأكاديمي المنهجي، حيث لمسنا منها محاولة جادة وهامة في التأسيس لنظرية نقدية في تحليل النصوص الأدبية، لتصبح القراءة النقدية حدثا غاية في الأهمية باعتبارها احتواء للنص، وهي تعنى بالوقوف على الأسئلة التي يثيرها حضور النص، ومن أبرز دراساتها التي اعتمدت فيها المنهج السيميائي نجد:

1.4 تحليل الخطاب الصوفي في ضوء المناهج النقدية المعاصرة:

حاولت الباحثة في هذا الكتاب أن تقدم دراسة جادة حول الأدب الصوفي من خلال الوقوف على عدد من الإشكاليات المتعلقة به، والتي وضحتها "بلعلی" في مقدمة كتابها بقولها "لقد استوقفتني أسئلة كثيرة متعلقة بأزمة التواصل تلك، مثل دور المتصوفة و علاقتهم بالسلطة السياسية و الدينية، و طبيعة نصوصهم وأشكالها و علاقتها بنصوص الثقافة الرسمية، وبالقرآن الكريم ومرجعياتها الحقيقية، وكيف كان دور الثقافة العربية الإسلامية في الحكم على الخطاب الصوفي والارتقاء به إلى مرتبة النص⁷ فالخطاب الصوفي له خصوصياته التي تتأني من كونه مختلفا عن باقي الخطابات، إنه متنوع من حيث أجناس الكلام من شعر وحديث وخبر، كما أن البحث في هذا النوع من الخطابات قليل، و هذا ما أقرته الناقدة من خلال قولها "تبين لي أنني أسهم في بعث جانب مغيب من تراثنا الذي سبقنا إليه المستشرقون وبتوا فيه ماشاؤوا من أفكار." ⁸

استعملت بلعلی في دراستها مصطلح الخطاب موصوفا بالصوفي لأنه قد قر في اعتقادها أن هذا المصطلح قادر على إبعاد التصوف من نسيته ومحدودية وظيفته وأدلجة انتمائه، و فضلت الناقدة استعمال مصطلح الخطاب بدل النص "بعده الماحيث الذي يتجاوز الخطاب في تجسيده دورة التواصل بكل عناصرها من مرسل ومتلق و رسالة وشفرة خاصة وسياق." ⁹ اعتمدت الباحثة في دراستها المنهج السيميائي، و وظفت عددا من المفاهيم السيميائية، ويتضح ذلك من قولها "احتكمت في الفصل الثالث الذي عنوانته تفضلات الحكمي إلى السيميائيات السردية التي ساعدتني في الكشف عن موجّهات الحكمي وكيفية اتّساع دائرة الاتصال بين المتصوفة والآخرين." ¹⁰

استثمرت "بلعلی" مفاهيم السيميائية السردية بالتطبيق المباشر على مدوّنتها دون العرض النظري لهذه المفاهيم، وأكثر الآليات الإجرائية التي وظفتها الباحثة "البنية العاملية" و"البرامج السردية" وهما مفهومان أساسيان في السيميائية لدى "غريماس"، كما وظفت مفهوم "الفضاء" فرصدت كل الفضاءات المذكورة في مدوّنتها، وخلصت إلى أنّها فضاءات تخيلية وأماكن مجازية، إضافة إلى مفهوم "عتبات النص" الذي وظفته الناقدة كما ورد لدى "جيرار جينت" لكن ليس بالمصطلح نفسه، إنّما بمصطلح البرازخ النصية، وكان العنوان أكثر هذه العتبات تناولا لدى الباحثة، وتؤكد أنّ العناوين الصوفية تبقى بمثابة مفاتيح للتأويل تغري القارئ، فهي ترمز، وتوحي أكثر ممّا تدلّ، "فالعنوان هو نصّ إذا لم يكن هو النصّ ذاته لأنّه يستوحى من النصّ" ¹¹ إنّ الخطاب الصوفي نسق من الاتصال الأدبي، أمّا "التصوف فهو سلوك وطريق يسير عليها المتصوف للوصول إلى الحقيقة" ¹².

جاءت هذه الدراسة في أربعة فصول، حاولت الباحثة في الفصل الأول "وضع التلقي في خطاب فعل الحب" لرصد طبيعة الخطاب الصوفي في بداياته من خلال الشعر وتداوله بين المتلقين، وطرحت في الفصل الثاني "البديل الخطابي للتواصل" المظهر التداولي لخطاب المعرفة في الحديث الصوفي، أمّا في الفصل الثالث "تمفصلات فعل الحكمي" فقد تناولت مظاهر التنوع القصصي وتجلياته في خصائص معينة، في حين كان الفصل الرابع "العلائقية النصية" بحثا في علاقة الخطاب الصوفي بالدين الإسلامي والثقافة العربية الإسلامية.

وقفت الناقدة في الفصل الأول عند ضغوط التلقي التي عبرت عن التفاعل السلبي بين المتلقين و المتصوفة والذي انتهى بمصرع الحلاج، ثم رصدت آليات التواصل التي وضعها المتصوفة المتأخرون من أجل التفاعل الإيجابي كاعتماد الغزل.

توضّح " بلعلی " أنّ الخطاب الصوّفيّ في القرن الثّالث الهجريّ لم يعيش الوضع الطّبيعيّ للتلقّي، المتمثّل في التّفاعل بين النصّ والمتلقّي، وغياب التّفاعل الإيجابيّ أدّى إلى تغييب النصّ، ما أدّى إلى غياب حكم القيمة الجماليّ، واعتبرت النصوص الصّوفيّة نصوصاً دينيّة، ولكن بعد الاستعانة بلغة الغزل حقّق خطاب الغزل تفاعلاً مع المتلقّي ما جعل المتعة في الشّعْر الصّوّفيّ ممكنة.

أمّا في الفصل الثّاني فتناولت النّاقدة مناجيات التّوحيديّ بالدراسة والتحليل، وتوضّح أنّ " المناجيات شكل من أشكال الخطاب الدّعائيّ ذات الاتجاه الواحد من أنا إلى أنت (الله)"¹³، فقد افترض التّوحيديّ وجود تبادل خطابيّ، وإن كان المتكلّم هو نفسه المخاطب.

اهتمّت الباحثة في الفصل الثّالث برصد مظاهر البنية السّردية للخطاب الصّوّفيّ، وذلك من خلال عدد من أشكال النثر الصّوّفيّ أهمّها:

الرّؤيا: حيث يقوم الرّائي بسرد ما رآه في نومه، فيصبح راوياً، وتحوّل الرّؤيا إلى نصّ حكائيّ. من هنا تؤكّد النّاقدة على " دور الرّؤيا في نشأة النوع القصصيّ وتشكّله، وقد كانت في القرآن بارزة من حيث علاقتها بالقصص، كذلك بالتأويل كما في سورتي يوسف وإبراهيم "¹⁴.

المخاطبة: تحدّثت الباحثة عن المخاطبة لدى "التّفريّ" وترى أنّه نقل رؤاه حتّى بدت كالواقع، فخاطب الله وبادله الخطاب، فيسرد مجموعة المخاطبات التي حدثت بينه وبين الله، " فتبنّى المواقف والمخاطبات من وجهة نظر حكائيّة على استذكار ما جرى بينه وبين الله "¹⁵

يتّضح من خلال المخطّط العامّ للفعل التّواصليّ لهذه النصوص أنّ "التّفريّ" هو المتكلّم والمخاطب في الآن نفسه .

الكرامة: ظهرت الكرامة في شكل رؤيا أو خارقة قوليّة أو فعليّة اعتبرها المتصوّفة هديّة من الله لهم، والكرامة تتميّز بوقوع الخرق، خرق للعادة، ففيها أحداث خارقة، وهذا ما أسهم في تكاثرها وتداول أخبار أصحابها، وأسهم في تشكّل النوع القصصيّ.

القصة الصّوفيّة: تحلّل الباحثة البنية السّردية لقصة " الإسراء إلى مقام السّرى " لابن عربي. تحكي هذه القصة رحلة الصّوّفيّ من العالم الكونيّ إلى الموقف الأزليّ، وهي " رحلة خياليّة يمكن تقسيمها إلى ثلاث وحدات عبارة عن مراحل بمثابة التجارب التي سلكها حتّى الوصول "¹⁶

تقدّم " بلعلی " التّرسيم العامليّة للمرحلة الأولى من القصة حسب ما جاء به "غريماس "، ثمّ تبين المخطّط العامليّ للبرنامج السّرديّ العامّ للقصة، وكان هذا التحليل وفق آليات السيميائية السّردية بالأخصّ مقترحات المدرسة الفرنسيّة " غريماس " و "جيرار جينت " .

تخلص الباحثة من خلال تحليل مظاهر البنية السّردية لهذه القصة إلى أنّه يمكن تقديم القصة الصّوفيّة الخياليّة على أنّها مثال للقصة الخياليّة والرمزيّة.

تطرح النّاقدة في الفصل الرّابع العلائقيّة النّصيّة " قضية البرازخ النّصيّة، وقد استعملت مصطلح البرازخ باعتباره مصطلحاً صوفيّاً للدّلالة على الخطاب الصّوّفيّ بمصطلحاته، و استعملت البرازخ بمعنى العتبات. بحثت "بلعلی" في عناوين الكتب الصّوفيّة، واستعانت في ذلك بما قدّمه "جيرار جينت" في هذا المجال، "فكلمة كتاب المتداولة في معظم عناوين المتصوّفة ككتاب المواقف

والمخاطبات لتفري، وكتاب الإشارات الإلهية للتوحيدي، توحى بالاحترام الذي لابد أن يعزى إلى مضمون الكتاب لما لهذه اللفظة من مكانة مهمة في الوجدان العربي لارتباطها بالقرآن الكريم¹⁷

إنّ العناوين تجعل المتلقي يتنبأ بالجو العام لهذه النصوص فواضعو عناوين الكتب الصوفية لديهم دراية بالوظائف التي يضطلع بها العنوان، وإن كانت في كثير من الأحيان إيجائية رمزية، فهي تغري القارئ، فتؤسس علاقة بين القارئ ومضمونها .
أما في باب تحويل النص وإفرازاته فقد اعتمدت "بلعلى" مفهوم التحويل Transformation عند "جيرار جينت" وهو "كل علاقة جامعة لنص (ب) نص لاحق بنص سابق (أ)، حيث أنّ النص ب لا يتحدث عن النص أ، أي أنّه ينتج عنه بواسطة التحويل دون أن يذكره أو يصريح به " ¹⁸، حيث نجد تفاعلا بين الخطاب الصوفي والنص القرآني نتج عنه ما يسمى الاستنباط الصوفي، وقد وظفت الناقدة في دراسة هذه الظاهرة مفهوم " جينت" للتعلق النصي، وكأننا أمام عملية توليد للمعنى، فكل معنى يحيل إلى معنى آخر " ¹⁹، لذلك يعتبر الاستنباط فاعلية لا تكمن في خلق زيادات في المعنى فحسب، بل كانت أداة لإحداث التفاعل بين نصوص مختلفة.

مالت الناقدة في هذه الدراسة نحو التطبيق أكثر من التنظير، حيث تعاملت في معالجتها للنصوص التراثية بطريقة مميزة من حيث فهم المناهج وتوظيف مفاهيمها وآلياتها الإجرائية، فقد تجاوزت هذه الدراسة الطرح التقليدي في تحليل النص الصوفي إلى رصد التفاعلات النصية في الخطاب الصوفي .

ما قامت به الباحثة " آمنة بلعلى" في هذا الكتاب محاولة جادة لطرح تصور حول الخطاب التراثي وخصوصيته، فهذا العمل جاء في سياق شمولي يمتاز بكونه قد اهتم بالمستويات المتحركة في الكشف عن آليات تحليل الخطاب الصوفي وطبيعته، وكشفت هذه الدراسة عن أنّ "آمنة بلعلى" باحثة مقتدرة، تمتلك العدة التي تؤهلها للخوض في هذه الدراسة التحليلية المتميزة من حيث الموضوع والمدونة المدروسة.

2.4 سيمياء الأنساق:

إنّ الدراسات السابقة التي اعتمدت المنهج السيميائي استعانت بمفاهيم المنهج السيميائي وآلياته الإجرائية لتحليل النصوص الإبداعية، أما في هذه الدراسة فالأمر مختلف، فقد جاء تقديمها هذا الكتاب فريدا في بابه منهجا وموضوعا وصياغة، ذلك أنّ المدونة التي تشغل عليها الناقدة هي الخطاب الواصف، أو " ما يمكن تسميتها بالخطابات ما فوق أدبية، وما فوق لغوية، فالنحو والبلاغة والأصول والنقد هي خطابات لم يجر الاشتغال السيميائي عليها كما هو الحال في النصوص الأدبية نثرا وشعرا، واختيار الكاتبة لهذه العلوم الواصفة هو انتقال موضوعي ومنهجي يوسع دائرة الموضوع والمنهج معا"²⁰.
اهتمت الناقدة بالجانب الإجرائي في أعمالها النقدية، وفي ذلك نقلة نوعية وجب تمييزها، لأنّ ذلك يتيح لها إمكانية التحكم في الأدوات الإجرائية للمنهج المتبع، ولعلّ أهم ملامح يديه النقد السيميائي هو طابعه الإجرائي الطبيعي، وفي ذلك تندرج دراسات آمنة بلعلى.

قدّمت الباحثة من خلال دراستها " سيمياء الأنساق" ما لم يقله التراث، " فالتراث العربي رحم ولود، إلا أنّه يفتقر إلى من يكشف عن خباياه وأسراره، وزعمنا هذا يتجلى في أنّ أغلب المناهج النقدية الحداثوية لها مصداقيتها في النقد العربي القديم... إنّ الحاجة الملحة تتمثل في استقراء هذا التراث بشكل دقيق... لاسيما أنّ الفكر العربي إبان عصور ازدهار الثقافة

العربية وصل إلى مراحل متقدمة من النظر المعرفي في مباحث الفلسفة وعلم الكلام والمنطق والتّقد، ومن يبحث في هذا التراث يجد ذلك جلياً²¹.

ما قدّمته " بلعلی " في كتابها " سيمياء الأنساق " يصبّ في البحث في تشكّلات المعنى في الخطابات التراثية، وكيف يمكن النظر إلى الأنساق التراثية سيميائياً نظراً لثراء هذا التراث معرفياً، لأنّه كما يقول "بول ريكور" " ليس حزمة مغلقة يمرّرها المرء من يد إلى يد من غير فتحها، ولكنّه كنز نأخذ منه بملء اليدين ونجدّد في عمليّة الأخذ نفسها"²²، ما يعني أنّه لا بدّ من استقراء مباحث التراث لمعرفة طبيعة اللّغة الواصفة- فالبحث في الخطابات التراثية يبيّن فيها الحياة، كما أنّ هذا النوع من البحث يجعل الدّارس منفتحاً على كلّ المجالات، ويسهم بطريقة أو بأخرى في تحليل هذه الخطابات ليكشف عن المضمّر فيها والمسكوت عنه لأنّ "التّراث مستودع حافل بموادّ لا تنضب" ²³

تقع هذه الدّراسة في خمسة فصول، بحثت " بلعلی " في الفصل الأوّل منها العلامة كموضوع في المعرفة التراثية، وفي الفصل الثّاني تناولت المعرفة التّحوّية، وكان الفصل الثّالث مخصّصاً للمعرفة البلاغية، ومخصّصت الفصل الرّابع للمعرفة الشّعريّة، وعنى الفصل الأخير بالتحليل السيميائيّ للدّلالة عند الأصوليين.

وسّعت الباحثة مجال بحثها ونظرتها لتتجاوز تلك الممارسة (الآليّة بتطبيق الآليات الإجرائيّة للمنهج السيميائيّ على النصّ الإبداعيّ) إلى ممارسة أكثر نضجاً وتنوعاً، بحكم تنوّع المجالات المعرفيّة، فهذه الدّراسة محاولة لاستنطاق التّصوص ما فوق أدبيّة، أو ما يمكن تسميته بالتّصوص الواصفة مثل النّحو والبلاغة والنّقد وعلم الأصول لانتقال الباحثة من النّقد السيميائيّ إلى الفكر السيميائيّ، فبعد أن كان البحث معتمداً على النّقد السيميائيّ بمفاهيمه وآليّاته الإجرائيّة أصبح اهتمام النّاقدة منصبّاً على البحث في أصول الفكر السيميائيّ في الموروث الفكريّ العربيّ من نحو وبلاغة ونقد وأصول، وبحث عن أصول الفكرة وبذورها، وإن لم تكن بذات المفاهيم الموجودة عند الغرب.

وظفّت النّاقدة مجموعة من المصطلحات السيميائيّة، ولعلّ أهمّها " العلامة"، فلا يمكن أن تكون علامة دون دال ومدلول أو بين ممثّل وموضوع، فالأيقونات تحيلنا إلى علاقة العلامة بموضوعها والعلامة هي المعنى بالنّسبة للتّحوّين، وهي عبارة عن شكل بالنّسبة للمجاز: وتعتبر أنّ " المجاز الذي هو موضوع البلاغة الأساس، هو نظام علاماتيّ... واشتغال المجاز كنظام سيميائيّ يتحدّد ب بروز الدّلالة المجازيّة التي تتمّ فيها عمليّة الاستبدال"²⁴.

تناولت " بلعلی " العلامة كموضوع في المعرفة التراثيّة قام النظر فيها على الاستدلال، فحسن الاستدلال يتأتّى من المعرفة والدّراسة المسبقة للعلامات، وقد كان العرب بارعين في تأويل العلامات، كما بحث العرب أيضاً في كيفيّة تحويل الكلمة إلى علامة، وأدركوا دور السّياق في ذلك، " وإنّ تحويل الكلمة إلى علامة من قبل السّياق يعنى إعطاء قيمة معيّنة لتلك الكلمة وإبراز شخصيّتها بالإقرار بصحّتها أولاً، و أن تكون كدالّ منسجمة مع مدلولها بواسطة علاقة ما"²⁵.

ترى الباحثة أنّ النّحو موضوع سيميائيّ على اعتبار أنّه لا يكتفي بالنّظرة المحايثة بالكشف عن العلاقات الشّكليّة بين عناصر الجملة التّحوّية، إنّما باعتباره من إنتاج ذات متكلمة في ظرف وسياق اجتماعيّين وثقافيتين معيّنين، ومجال تداوليّ مخصوص.

" فالدّال يرسل إلى المدلول عن طريق اتّفاق الجماعة، وكذلك المدلول يرسل إلى الدّال عن طريق اتّفاق الجماعة أيضاً الذي يولد اعتباطيّة العلامة"²⁶، وتقرّر " بلعلی " أنّ قضيّة علاقة الدّال بالمدلول والعلامة بموضوعها قضيّة سيميائيّة شائكة قد

بحث فيها العرب قديما، " ويمكن التأكيد أنّ المعرفة النَّحْوِيَّة العربيَّة حَقَّقَتْ نوعا من الكفاية السِّمِّيَّة من خلال مفهوم العلامة ومفهوم الوظائف التَّركيبِيَّة من فعل وفاعل ومفعول به، كما هو الحال في الوظائف الدَّلَالِيَّة في السِّمِّيَّاء السَّرْدِيَّة " ²⁷ توضَّح الباحثة أنّ الدرس العربيَّ التَّراثيَّ اشتغل بالعلامة والدَّلالة في كثير من المجالات لأنَّها من المفاهيم الأساسيَّة فيما يسمَّى اليوم بالبحث السِّمِّيَّائيَّ، إلّا أنّه لم يتمَّ تشكيل مفهوم واضح ومميّز للبحث السِّمِّيَّائيَّ عند العرب، ذلك أنّنا " نفتقده القدرة على التَّوصيف الفعليّ لما أنتجوه، سواء على مستوى الموضوعات، أو على المستوى الإبيستيمولوجيَّ للتَّنظير، وخاصَّة أنّ التَّوجهين يَحْتَظنان عند العرب، فما زال اهتمامنا بالتَّراث نتاج ردود أفعال على ما ينتجه الغرب أو تمرينات لتنظيراتهم " ²⁸.

و هو ما يعني أنّه لم يأت اهتمام الباحثين العرب بالمنجز التَّراثيَّ العربيَّ إلا بعد الإطّلاع على المنجز التَّقديّي الغربيَّ رغم أنّ العرب كانوا السَّباقين للبحث في هذه المجالات فتراثنا غنيّ بالمعارف.

كذلك طرحت " بلعلی " الموضوع البلاغيَّ باعتباره يجلّي سيرورة الدَّلالة وطريقة تشكّلها، والبلاغة طريقة خاصّة لإنتاج النَّصوص بواسطة آليات معيَّنة، فهي " علم ومنهج في الآن نفسه " ²⁹، و البلاغة لم تركز على الجملة فقط إنّما امتدّت لمعينة النَّصّ، وأخذت بعين الاعتبار مسار الدَّلالة في سياق الكلام .

ما قامت به " بلعلی " ليس محاولة لجعل البلاغة العربيَّة بديلا للبلاغة الجديدة، إنّما القصد من ذلك هو الوقوف على الموضوع البلاغيَّ باعتباره بحثا في سيرورة الدَّلالة وطريقة تشكّلها.

درست النّاقدة في الجزء الأخير من دراستها التَّشكّل السِّمِّيَّائيَّ للمعنى الشّعريّ، ويعدّ " غريماس " من النّقّاد الذين طرحوا إشكاليَّة اللّغة الشّعريَّة، فعادت " بلعلی " لما قدّمه العرب في هذا الشّأن، وعرضت ما جاء به " حازم القرطاجيّ " في كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء من أفكار توحى بنظرية في سيمياء المعرفة الشّعريّة

الافكار التي طرحها "القرطاجيّ "عن تشكّل المعنى سابقة لعصرها، فهو تجاوز الحديث عن مجرد تقديم لغة واصفة للنّصّ الشّعريّ، إلى الحديث عن عمليّة إنتاج المعنى ذاتها، لذلك أدرك "حازم" أنّ الدّراسات الخاصّة بالخطاب الشّعريّ التي سبقته كانت جزئيّة تمّ الوقوف فيها على مستوى الجمل دون المرور إلى مستوى الخطاب، وهذه الرّؤية الشّموليّة التي تفتن لها " القرطاجيّ " جاءت مبكّرة، إذ أدرك الثّغرات التي كانت في أفكار سابقه من البلاغيّين "فأراد ملأها بمراجعة ضمنيّة من أجل الوصول إلى السبب غير الظّاهر المتمثّل في معرفة كيف يتشكّل المعنى، والبحث عن العلاقات التي يتحيّن بواسطتها، وليس وصف تجلّياته اللفظيّة و العلاقات بين الكلمات، و رتبها بالنّسبة لبعضها بعضا، و ربط ذلك بغرض المتكلّم و صرف الجهد في البحث عنه " ³⁰

فقد كان القرطاجيّ على وعي كبير بطبيعة النّظام اللّغويّ و طبيعة العلامة اللّغويّة، لذلك حاول فهم كيفيّة إنتاج الدَّلالات، و أدرك أنّ أيّ فهم للمعنى لا يتمّ إدراكه إلّا من خلال موقعه من العلامة اللّغويّة.

إنّ ما قدّمه القرطاجيّ من مقولات عن تشكّل المعنى الشّعريّ يعدّ سبقا نظريّا.

توضّح "بلعلی " أنّ " موضوع الدَّلالة عند الأصوليّين مرتبط بتصور سيميائيّ وفرضيّات إبستيمولوجيّة واضحة منذ البداية، فهم في دراستهم للدَّلالة كانوا على وعي بضرورة إدراك وجهها ومقاصدها وعلاقتها بالمتكلّم والمتلقّي، وهي صورة مفتوحة يسعى السِّمِّيَّائيّون الغربيّون لتحصيلها " ³¹، ما يعني أنّ موضوع أصول الفقه هو الكشف عن منطق اشتغال الدَّلالة، وحركة المعاني في

الخطاب داخل النظم اللغوية وخارجه إضافة للاهتمام بما يطرأ على الكلام من دلالات وأنواعها، وهذا ما يؤكد وعيهم بالبعد التكويني للعلامة ومن ثم الدلالة.

تؤكد الباحثة اهتمام العديد من الدارسين في التراث بالدلالة والعلامة والتأويل باعتبارها مفاهيم سيميائية، ولم يستطع الباحثون إلى اليوم تحديد مفهوم للبحث السيميائي عند العرب لأنهم يعتمدون على ما أنتجه الدرس السيميائي الغربي، أما الباحثة " بلعلی " فقد حاولت قراءة المعرفة التراثية من زاوية مختلفة، والوقوف على أهم إنجازاتها متعلق بالعلامة والمعنى سواء عند النحويين أو البلاغيين وحتى الأصوليين، وفي نقد الشعر من خلال التعامل مع المقولات التي أتاحت لهم فهم كيفية تشكل المعنى وطريقة تجليّه.

رغم صعوبة رصد التقاطعات بين مختلف هذه المعارف القديمة والحديثة العربية والغربية، إلا أن الباحثة حاولت فعل ذلك من خلال التموضع في إطار كل مجال للوقوف على المواضيع التي تناولت العلاقة بين الدال والمدلول للوصول إلى كيفية تشكل المعنى، ما يدل على الجهد الكبير الذي بذلته الباحثة في هذا النوع من الدراسة

خلصت الباحثة إلى أنه ليس كل ما جاء به التوجه السيميائي الغربي جديداً، بل كان العرب سبقوا للبحث في هذه المفاهيم، وإن لم تكن جهودهم في ذلك منظمة، ولا بذات الجهاز المفاهيمي والاصطلاحي، وكأن " بلعلی " تستقرئ النتائج العربي المرتبط بالعلامة مسبقاً بتساؤل منطقي، وهو كيف نربط بين هذا العلم الجديد وبين التراث العربي، ما يعني اعتماد الناقدة للتراث في التأصيل للظواهر النقدية أولاً، ثم تذهب إلى المنجز النقدي الغربي مع المقارنة عن طريق التحليل والشرح .

بحثت " بلعلی " في هذا الكتاب في المعرفة التراثية بفروعها المختلفة نحواً وبلاغة ونقداً، وعلم أصول، واعتبرتها أنشطة فكرية سعت للبحث عن القوانين التي تهتم بالكشف عن المعنى، وتعنى بتتبع الآليات الكاشفة لوجود الدلالة في الخطابات، فهذا الكتاب بحث عن الجذور السيميائية في مدونات تراثنا (النحو، البلاغة، النقد، الأصول).

في الأخير نصل إلى ما يلي:

- انفتاح الدراسات التي قدمتها الباحثة " بلعلی " على النقد العربي القديم والحديث، كما نلمس مدى انفتاحها على المنجز النقدي النظري الغربي .

- إلمام الباحثة " بلعلی " بالأدوات الإجرائية للمنهج السيميائي كونها استاذة متخصصة في النقد.

- اعتماد الباحثة لمقولات التوجه السيميائي الفرنسي من زاوية اعتماد بعض مفاهيمه ومعطياته النظرية، و هي تبدو على وعي كبير بالمنهج ومقتضياته، ما يفتح آفاقاً واعدة لمقاربات جديدة.

- تحليل " آمنة بلعلی " للخطابات التراثية جاء مختلفاً عن سابقتها حيث وقفت على المعارف التي تناولت العلامة و بحثت في كيفية تشكل المعنى.

الإحالات:

1- خطابات ما فوق أدبية و ما فوق لغوية: هي الخطاب الواصف و هي البلاغة و النحو والأصول و النقد .

2 - محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث - ط1، منشورات الاختلاف - الجزائر - 2013 ص 78.

3 - المرجع نفسه ص 91.

- 4 - يوسف وغليسي - مناهج النقد الأدبي - ط1 - جسور الجزائر - 2007 ص 67.
- 5 - شادية شقروش - سيميائية الخطاب الشعري - ط1 - عالم الكتب الحديثة 2010، ص 1.
- 6 - المرجع نفسه، ص
- 7 - آمنة بلعلي: تحليل الخطاب الصوفي، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2010، ص 10.
- 8 - المرجع نفسه، ص 13.
- 9 - المرجع نفسه، ص 13.
- 10 - المرجع نفسه، ص 16.
- 11 - المرجع نفسه، ص 267.
- 12 - سامية جريوي و أخريات، إضاءات نقدية في الأدب العربي، ط1، دار ابن زيد، بسكرة، 2016، ص 61.
- 13 - آمنة بلعلي: تحليل الخطاب الصوفي ص 53.
- 14 - المرجع نفسه، ص 193.
- 15 - المرجع نفسه، ص 201.
- 16 - المرجع نفسه، ص 241.
- 17 - المرجع نفسه، ص 267.
- 18 - المرجع نفسه، ص 281.
- 19 - المرجع نفسه، ص 284.
- 20 - آمنة بلعلي: سيميائية الأنساق، ط1، دار النهضة العربية بيروت، لبنان، 2013، ص 09.
- 21 - محمد فليح الجبوري: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ط1، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2013، ص 14.
- 22 - بولريكور: صراع التأويلات، دراسات هرمينوطيفية، تر: منذر عياشي ومراجعة جورج زيناتي، ط1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، طرابلس، ليبيا، 2005، ص 95.
- 23 - نبيلة زويش: تحليل الخطاب السرد، دار الريحانة للكتاب، د.ت، القبة الجزائر. ص 05.
- 24 - آمنة بلعلي: سيميائية الأنساق. ص 125.
- 25 - المرجع نفسه، ص 40.
- 26 - محمد فليح الجبوري: الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث. ص 57.
- 27 - آمنة بلعلي: سيميائية الأنساق. ص 75.
- 28 - المرجع نفسه، ص 181.
- 29 - المرجع نفسه، ص 106.
- 30 - المرجع نفسه، ص 145.
- 31 - المرجع نفسه، ص 187.